خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٨/٨

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كان الحديث قبل الجلسة يدور حول أحداث فتح مكة. وكنت قد تناولت ذكر بعض المعارضين الشديدين وقبولهم الإسلام. أستأنف وأذكر الآن عددًا آخر من بين هؤلاء، وأحدهم وحشي بن حرب، وهو الذي قتل حمزة رضي الله عنه في غزوة أُحد. وفرّ إلى الطائف بعد فتح مكة. وعندما أسلم أهل الطائف، جاء هو أيضًا وأسلم.

ورد ذكر إسلام وحشي في إحدى الروايات في البخاري حيث يقول بنفسه: أَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشَا فِيهَا الْإِسْلَامُ ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولًا فَقِيلَ لِي إِنَّهُ ﷺ لَا يَهِيجُ[1] الرُّسُلَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِي قَالَ أَأَنْتَ وَحْشِيٌّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنْ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ. قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ (كان ﷺ يعني ألا يريه وحشي وجهه حتى لا يتذكر ﷺ هذا الأمر مرة أخرى) فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ لَأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ (أي تم قتله)، قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ[2] جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ[3] ثَائِرُ الرَّأْسِ (وكان ذلك مسيلمة ورآه وحشي) قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ قَالَ وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ. وهكذا قُتل. كذلك كانت من بين هؤلاء "سارة" مولاة عمرو بن هاشم، وكانت مغنية بمكة، وقدمت على رسول الله ﷺ قبل الفتح، وطلبت منه الصلة وشكت الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: ما كان في غنائك ما

---

[1] لا يهيج الرسل: لا يغضبهم

[2] ثلمة: فتحة أوثقب

[3] أورق: رمادي اللون

يغنيك؟ (أي كنت تغنين وتكسبين أموالا كثيرة) فقالت: إن قريشًا منذ قُتل مَن قُتل من رؤسائهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها رسول الله ﷺ وأعطاها بعيرا طعاما، فرجعت إلى قريش.

وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغني به. ورغم أخذ العطاء لم ترتدع عن أفاعيلها بحيث كانت تغني شعر الهجاء، وهي التي وجد معها كتاب حاطب ابن أبي بلتعة، فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر بن الخطاب.

وكانت لابن خطل مولاة أخرى اسمها "فرتنى"، وكانت هي الأخرى تغني بهجو رسول الله، فأسلمت.

ثم ورد عن إسلام الحارث بن هشام أنه كان رئيسًا محبوبًا في مكة وأخًا لأبي جهل من جهة الأب، وكانت أخت خالد بن الوليد ﷺ زوجته. لجأ هو وعبد الله بن أبي ربيعة يوم فتح مكة إلى بيت أم هانئ رضي الله عنها، لأن علي بن أبي طالب ﷺ كان يطاردهما ليقتلهما. فأخفتهما أم هانئ رضي الله عنها في بيتها وحضرت إلى النبي ﷺ وقالت: إني قد أجرتهما. فقال لها النبي ﷺ: "من أجرتِ فقد أجرنا".

قال الحارث بن هشام: مكثنا في ذلك البيت يومين، ثم ذهبنا إلى بيوتنا. كنا نجلس في الصحن ولا يتعرض لنا أحد، لكننا كنا نخاف من عمر ﷺ. قال: والله! بينما أنا جالس على بابي مرتدياً عباءتي، إذ جاء عمر ﷺ ومعه بعض المسلمين، فسلّم وانصرف.

قال: كنت أستحي من أن يراني رسول الله ﷺ، لأنه كان يراني في كل مكان مع المشركين. ثم تذكرت رحمته وإحسانه وصلة الرحم. فلقيته عندما كان يدخل المسجد الحرام، فاستقبلني بوجه بشوش. سلّمتُ عليه وتشهدت، فقال: الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يخفى عليه الإسلام. قال الحارث: والله! لقد رأيت أنه لا يمكن الابتعاد عن الإسلام.

كذلك ورد عن إسلام سُهيل بن عمرو أنه كان أيضاً من رؤساء مكة، وهو الذي جاء كمندوب عن قريش لعقد صلح الحديبية. يقول سهيل بن عمرو: عندما دخل النبي ﷺ مكة وانتصر، دخلت إلى بيتي وأغلقت الباب. ثم أرسلت ابني عبد الله إلى النبي ﷺ ليطلب لي الأمان من محمد ﷺ، فقد خفت أن أُقتل. حضر عبد الله ﷺ إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله! أبي يطلب منك الأمان. [وقد كان أهل مكة قد نالوا العفو العام والأمان. لكنه كان من أئمة الكفر وقد عادى بشدة لذلك لم يطمئن و لم يستطع أن يتصور أنه سيبقى محفوظًا في ذلك الأمان العام، وحسب التفكير الجاهلي كان يخاف أن يُنتقَم منه، لذلك أرسل ابنه إلى النبي ﷺ لينال الأمان مرة أخرى.] فقال النبي ﷺ: نعم! هو في أمان الله، فليظهر أي فليخرج ويتحرك بحرية. ثم قال النبي ﷺ للصحابة الجالسين حوله: "من لقي منكم سهيلاً فلا ينظر إليه بالغضب. إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثله يجهل الإسلام. لقد رأى أن الذي

كان عليه (أي الكفر) لا ينفعه". ذهب عبد الله إلى والده وأخبره بقول رسول الله ﷺ، فقال سهيل: والله! لقد كان محسناً في الصغر وهو محسن في الكبر.

ظل سهيل يأتي ويذهب في أمان. شارك مع النبي ﷺ في غزوة حنين وهو لا يزال مشركاً دون أن يسلم. وأسلم في مكان يُسمى الجِعرانة عند العودة من غزوة حنين. وهو بئر على بعد ٢٧ كيلومتراً من مكة في طريق الطائف.

بعد إسلامه حدث فيه انقلاب روحي مدهش. فقد ورد أنه لم يكن أحد، من بين سادات قريش الذين أسلموا في فتح مكة، أكثر التزاماً بالصلاة والصيام وإعطاء الصدقة من سهيل. كان كثير البكاء، وكان يبكي غالباً عند قراءة القرآن.

روى أبو بكر ﷺ: رأيت في حجة الوداع أن سهيل بن عمرو واقف عند مكان الذبح يقرّب ناقة النبي ﷺ للذبح إلى رسول الله ﷺ. فذبحها رسول الله ﷺ بيده، ثم دعا الحلاق وحلق شعره. يقول أبو بكر: رأيت سهيلاً يضع شعر النبي ﷺ المبارك على عينيه. يقول: تذكرت حينها أن هذا سهيل كان يمنع النبي ﷺ من كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" في معاهدة صلح الحديبية. (وكان يعترض أيضاً على كتابة كلمة "رسول" مع اسم محمد ﷺ، و لم يبدأ كتابة المعاهدة حتى تم محو كلمة "رسول الله")

يقول أبو بكر ﷺ: حمدت الله وأثنيت عليه الذي هدى سهيلًا إلى الإسلام، وعندما هداه ازداد إخلاصًا ووفاءً بلا حدود.

يُذكر من مآثر سهيل بن عمرو أيضا، فقيل عنه إنه كان خطيبًا مفوّها لقريش. أُسر يوم بدر كافرًا، وكان أعلَمَ الشفةَ[٤]، فقال عمر: يا رسول الله، انزع ثنيتيه، فلا يقوم عليك خطيباً أبداً؟ (أي انزع السنّين الأماميتين فلن يقدر على الكلام ضدك) فقال ﷺ: دعه يا عمر، فعسى أن يقوم مقاماً تحمده عليه، (كان عمر يريد أن يعاقَب إلا أن النبي ﷺ قال لا تفعل معه أي شيء لأنه سيأتي يوم يقوم هو في مقام ويقول كلامًا تحمده عليه، على أية حال، يقول عمر:) فكان ذلك المقام أنه لما توفي رسول الله ﷺ ارتجت مكة حين رأت قريش من ارتداد العرب، واختفى عَتَّاب بن أسيد الأموي عامل مكة الذي استعمله النبي ﷺ عليها، فقام سهيل بن عمرو خطيبًا، فقال: يا معشر قريش، لا تكونوا آخر من أسلم وأول من ارتد، والله إن هذا الدين ليمتد امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلى غروبهما، وهكذا ألقى سهيل خطابًا طويلا أثر في قلوب أهل مكة فامتنعوا من الارتداد، بل وأحضر عتاب بن أسيد الذي كان قد اختفى، وثبتت قريش على الإسلام.

ثم ورد عن إسلام عتبة ومعتب عن العباس: لما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح قال لي: أين ابنا أخيك عتبة ومعتب ابني أبي لهب.لا أراهما؟ قال العباس: تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش، قال: ائتني

---

[٤] أعلَمَ الشفةَ: مشقوق الشفة العليا

بهما. فركب العباس إليهما بعرنة فأتى بهما، فدعاهما ﷺ إلى الاسلام فأسلما وبايعا، ثم قام رسول الله ﷺ فأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم، (هو جزء من جدار البيت الحرام بين الحجر الأسود وباب الكعبة، حيث يُستحب الالتزام به والدعاء عنده، وهو مكان خاص لقبول الدعاء.) فدعا ﷺ ساعة ثم انصرف والسرور يُرى في وجهه.

قال سيدنا عباس: يا رسول الله: سرك الله إني أرى السرور في وجهك، فقال: "إني استوهبت ابنَيْ عمي هذين من ربي فوهبهما لي".

وقد ذُكر قبول إسلام صفوان بن أمية أيضا، وهو ابن أمية بن خلف، أحد رؤساء مكة. في زمن الجاهلية، كان من أشراف قريش، ويُعدّ من أفصح الناس بيانًا بينهم. كما كان عدوًا شديدًا للإسلام، وكان من بين الذين آذوا المسلمين وعذبوهم في مكة. وبعد غزوة بدر، دبّر مؤامرة لقتل النبي ﷺ، وكلّف عُميرَ بن وهب بهذه المهمة.

مع أنه لم يكن ممن صدر الحكم بقتلهم، ولكنه هرب من مكة خشية أن يُقتل. وهرب إلى جدة عن طريق البحر الأحمر. علما أن صديقه عمير بن وهب كان قد أسلم. وهو الشخص نفسه الذي أرسله صفوان إلى المدينة لقتل رسول الله ﷺ قائلاً له: إن قتلتَه فإن كفالة أطفالك وعيالك ستكون مسؤوليتي. فلما وصل عمير إلى المدينة، علم النبي ﷺ بكامل مخططهم. وعندما رأى عمير هذه المعجزة أسلم فورا. وعند فتح مكة، كان عمير يفكر ويشتاق لإسلام صديقه صفوان. فقال عمير بن وهب: يا نبي الله: إن صفوان بن أمية سيد قومي وقد خرج هاربا منك، فآمنه، فقال ﷺ: هو آمن.

قال صفوان لرسول الله ﷺ: أعطني منك شيئا لأريها كأمارة الأمن منك. فخلع رسول الله ﷺ عمامته وأعطاه إياها.

فخرج عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب البحر. فلحقه فقال: يا أبا وهب، جئت من عند أبر الناس، وأوصل الناس، لا تهلك نفسك، هذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به.

قال صفوان: لن أعود معك حتى تُريني علامة منه (ﷺ) أعرفها. فأظهر له العمامة التي أعطاها إياه النبي. فجاء صفوان مع عمير، وحضر أمام رسول الله ﷺ بينما كان يصلي بالصحابة صلاة العصر في المسجد. فلما أنهى الصلاة، قال صفوان بصوت عالٍ: يا محمد (ﷺ)، جاءني عمير بردائك قائلاً إنك أمّنتني. فقال ﷺ: صدق عمير. فقال صفوان: أمهلني شهرين، فلا أريد أن أقبل الإسلام الآن. فقال ﷺ: لك مهلة أربعة أشهر، وآمل أن تُسلم. فبقي صفوان في مكة وهو على حاله من الشرك.

ولما ذهب النبي ﷺ إلى هوازن ووزّع الغنائم بعد غزوة الطائف وحنين، رأى النبي صفوان يحدق باستمرار إلى الوادي المملوء بالغنم والماعز. وكان رسول الله ﷺ ينظر إلى صفوان وهو يحدق في الوادي المملوء بالأموال. فقال ﷺ: هل عجبتَ من هذا الوادي لكثرة المال فيه؟ قال صفوان: نعم. فقال ﷺ:

هذا الوادي وما فيه كله لك، خذه معك. فأخذ صفوان جميع تلك الأموال وقال: لا يمكن لأحد أن يجود بنفسه الكريمة كما يجود نبي. أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله، وأسلم في الحال.

توفي صفوان في مكة سنة اثنتين وأربعين هجرية في خلافة معاوية. وقال بعضهم إنه قُتل في أثناء الفتنة في عهد عثمان ﷺ.

إن معظم روساء مكة الذين أسلموا عند فتح مكة خلقوا في نفوسهم انقلابا روحانيا عظيما. يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان ذلك:

جاء عمر ﷺ مرة إلى مكة في زمن خلافته، فحضر للقائه كبار رؤسائها الذين كانوا من عائلات عريقة وشهيرة، ظانين أن عمر ﷺ، وقد صار ملِكًا، سيُعزّهم لأنه يعرف عائلاتهم وسيستعيدون مجدهم الغابر. بينما هم يتحدثون معه ﷺ حضر بلال ثم بعد قليل جاء خباب، ثم جاء بعدهما غيرهما من أوائل المؤمنين الذين كانوا في الماضي عبيدًا لهؤلاء الرؤساء أو لآبائهم، وتعرضوا على أيديهم لأشد الاضطهاد زمنَ قوتهم. فكلما دخل أحد هؤلاء العبيد استقبله عمر بحفاوة وقال لهؤلاء أن يتأخروا ويفسحوا له المكان في صدر المجلس، ولم يزل هؤلاء الزعماء يتأخرون حتى وصلوا الباب.

لم تكن في تلك الأيام صالات كبيرة، وإنما كان المجلس غرفة صغيرة. وحيث إن الغرفة الصغيرة لم تتسع لهم جميعا، فقد اضطر هؤلاء الزعماء إلى التأخر في كل مرة حتى وصلوا مكان الأحذية. فلما رأوا بأم أعينهم أنه كلما أتى عبدٌ أمرهم عمر بأن يتأخروا ويفسحوا له المكان حتى وصلوا إلى الأحذية، أصابتهم صدمة شديدة.

لقد هيّأ الله تعالى في تلك المناسبة أسبابا لإهانتهم، حيث جاء العديد من المسلمين العبيد واحدا تلو الآخر على فترات متقاربة، لا دفعة واحدة. لو حضروا مرة واحدة لم يشعر هؤلاء الزعماء بإهانة شديدة. ولكنهم لما اضطرّوا مرارًا للتأخر في المجلس من أجل العبيد أحسّوا بإهانة شديدة لم يحتملوها فخرجوا من المجلس. ولما خرجوا أخذوا يقولون فيما بينهم: انظروا إلى الذلة والهوان الذي لقيناه اليوم! لقد جاء هؤلاء العبيد واحدا تلو الآخر، وفي كل مرة أمرنا عمرُ أن نتأخر حتى وصلنا إلى مكان الأحذية.

فقال أحدهم: مَن المذنب، عمر أم آباؤنا؟ لو فكرتم لوجدتم أن الذنب ليس إلا ذنب آبائنا الذي نلنا عقابه اليوم. فإن الله تعالى لما بعث رسوله ﷺ عارضه آباؤنا، ولكن هؤلاء العبيد آمنوا به، وتحملوا بصبر كل أذى في هذا السبيل. فنحن المسؤولون عن الإهانة التي أصابتنا اليوم في المجلس لا عمر. فقال له أصحابه: صحيح أن الذنب ذنب آبائنا، ولكن هل من سبيل لإزالة وصمة العار هذه؟ ثم تشاوروا فيما بينهم، وقالوا: لا نعرف لذلك سبيلا، تعالوا نسأل عمر. فحضروا مجلسه مرة أخرى، وقالوا: تعلم أنت

ونعلم جيدا ما تعرضنا له من إهانة في مجلسك. فقال عمر ﷺ: أرجو المعذرة على ما حصل، لأن هؤلاء قوم كان النبي ﷺ يُعزّهم في مجلسه، فكان من واجبي أن أُعزّهم في مجلسي. فقالوا: نحن نعلم أن الذنب ذنبنا، ولكن هل من سبيل إلى غسل هذا العار؟

ليس بوسعنا اليوم أن ندرك مدى النفوذ الذي كان يتمتع به هؤلاء الزعماء في مكة، أما عمر فكان يعلم قبائلهم جيدا، إذ وُلد في مكة وترعرع فيها، وكان يعلم كم كان آباؤهم ذوي عزة ومنعة في مكة! كان يعلم أنه لم يكن بوسع أحد أن يرفع بصره أمامهم. فلما سمع كلامهم دارت أمام عينيه الأحداث والأحوال الماضية كلها، فغلبته الرقة ولم يستطع الكلام، بل رفع يده وأشار بإصبعه إلى الشمال، وكان يعني أن المسلمين يحاربون الأعداء ناحية الشام فلو اشتركوا فيها فربما كفّر هذا عما صدر منهم في الماضي. فخرجوا من عنده، وأعدّوا عدّتهم وارتحلوا إلى الثغور حيث كانت الحرب الطاحنة دائرة فخاضوا غمارها. فلم يرجع أحد منهم حيًّا، بل قُتلوا فيها جميعا كما يذكر التاريخ؛ وهكذا محوا وصمة العار عن قبائلهم.

يُروى أن رؤساء مكة الذين اعتنقوا الإسلام أظهروا شجاعة وتضحية جديرة بالثناء في معركة اليرموك. وقد قال سيدنا المصلح الموعود ﷺ بهذا الشأن: عندما انتهت المعركة، بحث المسلمون بشكل خاص عن عكرمة ﷺ ورفاقه، فوجدوا أن اثني عشر من هؤلاء الرجال مصابون بجروح بالغة، وكان من بينهم عكرمة. اقترب جندي مسلم من عكرمة ورأى حالته السيئة للغاية، فقال: يا عكرمة، معي قربة ماء، اشرب منها. نظر عكرمة فيمن حوله فوجد بالقرب منه الفضل بن العباس ﷺ، مصاباً وملقى على الأرض. فقال عكرمة لهذا المسلم: لا تقبلُ غيرتي أن يموت من ساعدوا رسول الله ﷺ في الوقت الذي كنت فيه أشد المعارضين له، هم وذريتهم، من العطش، وأشرب الماء وأعيش- كان هناك حماس جديد للتضحية من أجل بعضهم بعضا – فاسقِ الفضل بن العباس أولاً، فإن بقي شيء من الماء فأحضره إليّ. ذهب المسلم إلى الفضل، فأشار إلى جريح آخر وقال: اسقه الماء أولاً، فهو أحق مني. ثم ذهب إلى الجريح الآخر، فأشار بدوره إلى جريح آخر قائلاً: إنه أحق مني، اسقه الماء أولاً. وهكذا، كلما ذهب إلى جندي، أحاله إلى آخر، ولم يشرب أحد منهم الماء. وعندما وصل إلى الجريح الأخير، وجده قد توفي. فعاد إلى الآخرين، حتى وصل إلى عكرمة، لكنهم جميعًا كانوا قد فارقوا الحياة.

كان النبي ﷺ قد كلّف بعض السرايا بالدعوة إلى الله وهدمِ بعض الأصنام الكبيرة فأرسلهم لهذا الغرض. وقد ورد ذكر هذا الأمر كما يلي:

بعد فتح مكة، أرسل النبي ﷺ سرايا إلى مناطق مختلفة. لم تكن هذه السرايا في الأساس للحرب والقتال. بل كان الهدف منها الدعوة إلى الله وهدمَ الأصنام التي كانت قد نُصبت في بعض الأماكن للعبادة، والتي كانت تشكل عائقًا أمام الإيمان بالتوحيد. وكانت قلوب الناس عامرة بالخوف الزائف والمصطنع

من هذه الأصنام، مما جعلها حاجزًا يمنعهم من الإيمان بالله الواحد الأحد. كانت غالبية العرب تُعظم ثلاثة أصنام أو آلهة بشكل خاص، وهي: اللات ومَناة والعُزى. أما اللات فكانت في الطائف، وكان العرب في جميع أنحاء الجزيرة العربية يعظمونها، حيث كانوا يقسمون باسمها ويقدمون لها القرابين. وقد زرع عمرو بن لحي، الذي يُعتبر مؤسس الوثنية في العرب، في قلوب الناس فكرة أن الله تعالى والعياذ بالله يقضي الشتاء عند اللات في الطائف والصيف عند العزى. أما مناة فكانت أقدم أصنام العرب، وكانت تقبع على ساحل البحر في منطقة قديد بين مكة والمدينة. وكان العرب يعظمونها ويقدمون لها القرابين. وكان الأوس والخزرج بشكل خاص يعظمونها جدًا، حتى إنهم كانوا يُحْرمون باسمها، ولا يقومون بالسعي بين الصفا والمروة احترامًا وتعظيما لها. وفي الحج، لم يكونوا يحلقون رؤوسهم في مكة، بل كانوا يأتون إلى مناة عائدين ليحلقوا رؤوسهم هناك، ويقيمون عندها، ولا يعتبرون حجهم مكتملاً دون ذلك. أما العزى فكانت أكبر أصنام قريش، ونصبت قريبا من نخلة. وقد بنوا لها مذبحًا يقدمون عليه قرابينهم، وكانوا يسمون أبناءهم باسمها ويقسمون بها. وقد زرع عمرو بن لحي الذي يعتبر مؤسس الوثنية في العرب، في قلوب الناس أفكارا باطلة عن الأصنام، فكانوا يخافونها ويعظمونها كثيرا، كما قلت سابقا، وكانوا يزعمون أن الله تعالى والعياذ بالله يقضي شتى الفصول عند هذه الأصنام، باختصار كانت الأفكار من هذا القبيل قد وَلَّدت في قلوب الناس عظمة العزى، لدرجة كانوا يحملون إليها الهدايا والنذور كما كانوا يحملونها إلى الكعبة، والعزى هي نفس التي كان أبو سفيان قال يوم أُحد احتفالا بالانتصار، إن لنا العزى ولا عزى لكم، وكان العرب عمومًا يعظمون هذه الأصنام الثلاثة كلها، لكن العزى كانت خاصة بقريش، واللات كانت خاصة ببني ثقيف، ومناة كانت خاصة بالأوس والخزرج. وكانت هذه الأصنام الثلاثة مؤنثة أي إلهات وفقًا لتصورات العرب. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأصنام الثلاثة، قائلاً:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم ٢٠-٢٤)

باختصار، قد أمر النبي ﷺ بعد فتح مكة مباشرة بهدم هذه الأصنام، كما ذُكر، ليزول من قلوب الناس خوفُها الزائف وعظمتها المصطنعة. وقد كان هذا القرار الحكيم مباركًا جدًا، إذ قد زال بهدمها فعلا الخوف الكاذب والهيبة من قلوب الناس وبدأوا يدركون أن فكرة الإله الواحد الأحد التي قدمها محمد رسول الله ﷺ هي الصحيحة.

كيف هُدمت تلك الأصنام وتلك الأماكن، وهل ظهرت ردة فعل لذلك في البداية أم لا، فسأتناول بعض الأحداث عن ذلك مستقبلا.

بعد الصلاة سأصلي جنازة الغائب على مرحومَين، أحدهما شودري عبد الغفور ابن شودري غلام قادر من جامشورو حيدر آباد، فقد توفي مؤخراً عن عمر يناهز اثنين وتسعين عاماً، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان من عائلة المزارعين، وهي انتقلت من بيغورا كوت إلى كوت أحمدية في أوائل عام ١٩٠٠م. وكان والده قد أرسله بدافع حبه للجماعة والخلافة إلى قاديان لدراسة دينية ومادية سامية في عام ١٩٤٢م، حيث درس المرحوم وتشرف بصحبة طيبة للصحابة والصلحاء حتى الهجرة إلى باكستان، وبعد انتقاله إلى هناك، تابع دراسته في شنيوت وربوة، ولاحقاً نال الشهادة في الهندسة الميكانيكية من كراتشي وتقاعد في عام ١٩٩٣م، وبعد ذلك وقف حياته لخدمة الدين. ووُفق لخدمة الجماعة في مشروع في أوغندا لمدة عامين.

كان من شجعان أبناء الأحمدية. وكان خادما للخلق رحيب الصدر. كان يسعى لسد الحاجات المالية للجميع دون تمييز. وكان سباقا في التضحية بالمال. شغل منصب قائد خدام الأحمدية في الإقليم كما أدى خدمات بارزة في مجلس أنصار الله أيضاً. لقد خدم الجماعة مدة طويلة بصفته سكرتيرا للشؤون العامة في حيدر آباد. وكان حضرة الخليفة الرابع رحمه الله تعالى قد عيَّنه أميراً لمحافظتي نواب شاه ونوشهرو فيروز، فأدى هذه المسؤولية بجهد كبير. كان المرحوم من الموصين، وترك وراءه ثلاثة أبناء وخمس بنات.

تقول إحدى بناته السيدة حُميرة إنه كان يعدّ خدمة الخلق رصيده المصرفي ووسيلة لنيل رضا الله تعالى. هناك عدد كبير من الأحمديين وغير الأحمديين الذين تمت تلبية احتياجاتهم من خلاله. فكان يهتم بسد الحاجات المالية للمسافرين والمرضى والمساكين دون تمييز وكان يعطي مبالغ كبيرة أيضاً. كانت روح التضحية المالية من أجل الجماعة غالبة عنده. عندما طلب حضرة الخليفة الثالث رحمه الله تعالى من الجماعة جمع التبرعات للاحتفال باليوبيل المئوي للجماعة، استجاب فوراً وباع مترله في ربوة في اليوم التالي وتبرع بثمنه الكامل في هذا الصندوق. عندما زار حضرة الخليفة الثالث السند في عام ١٩٦٦م بعد انتخابه خليفةً، ذهب إلى مترله أيضاً في كوت أحمدية بحيدر آباد. عندما كان قصر الخلافة قيد البناء في ربوة في عام ١٩٨١م قررت الحكومة أن تبعثه إلى أفريقيا لمشروع ما، وكانت فرصة جيدة جداً بالنسبة له، لكنه حين زار سيدَنا الخليفة الثالث للاستشارة، قال له حضرته: لا تذهب هناك واتركها، فقصر الخلافة هذا قيد البناء وهناك أعمال التسقيف وغيره جارية وعليك أن تشرف عليها. فتولى العمل في اليوم التالي وبقي هناك، لكن الله تعالى أكرمه أيضاً، إذ حين عاد إلى البيت بعد إنهاء إجازته، حصل على نفس العقد من الحكومة مرة أخرى. وكان يقول إن هذا حدث فقط ببركة الخلافة. كانت له علاقة قوية مع حضرة الخليفة الثالث والرابع أيضاً، وكانا يزورانه في مترله ويبيتان أيضاً عنده. وأنا الآخر يوم كنت في باكستان تسنت لي فرصة الإقامة في بيته. كان مضيافاً جداً. في إحدى المرات

اضطُررت للسفر ليلاً داخل السند والأحوال لم تكن جيدة، فقال لي أنا سآخذكم معي، وكان المطر الغزير يترل والطرق غارقة في الماء، لكنه أخذني ووصلنا ليلاً إلى المكان الذي كان يجب أن أصل إليه. بعد ذلك قلت له ينبغي أن تبيت هنا وتذهب صباحاً ولا تذهب الآن وحدك، لكنه قال لا وركب سيارته وانطلق في نفس الوقت ليلاً، كان إنساناً شجاعاً وجريئاً جداً.

إن خدماته للأسرى في سبيل الله أيضا جديرة بالتقدير، كان يذهب إلى السجون ويتواصل مع الإدارة ويهيء التسهيلات لهم. كان مليئاً بروح خدمة البشرية. كان يهتم بالأقارب والأعزاء، تقول ابنته إنه كان يساعد الفقراء والمحتاجين كثيراً. كان يحب نظام الخلافة حباً عميقاً. فكان يلبي كل نداء لخليفة الوقت، وكان الحديث عن الخلافة جزءاً من محادثاته اليومية. حتى إن غير الأحمديين من معارفه أيضا يذكرون كثيراً أعماله الطيبة، وقد ترك فيهم أثراً طيباً وحسناً. كانت حلقة أحبائه واسعة جداً وكان معروفاً في كل مكان بصفته أحمدياً، وكانت له علاقات جيدة مع كبار المسئولين الحكوميين والعائلات السياسية في السند، وكان كثيراً ما يقدم لهم القرآن الكريم الذي طبعتْه الجماعة ويعرّف بالجماعة بوضوح، بل كان يأخذهم لزيارة ربوة كلما تيسر. رحمه الله تعالى وغفر له، ووفق أولاده أيضاً لمواصلة أعماله الحسنة.

والذكر الثاني هو للسيد محمد علي من قرية رقم ٢٧٥ كِرتار بور فيصل آباد. لقد توفي هو الآخر مؤخراً عن عمر يناهز سبعين عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان من الموصين بفضل الله تعالى. له أيضاً ثلاثة أبناء وخمس بنات. أحد أبنائه داعية أحمدي في لوساكا زامبيا، وهو هنا في هذه الأيام لحضور الجلسة السنوية في بريطانيا، لهذا السبب لم يتمكن من حضور مراسم جنازة والده أيضاً.

يقول الداعية طاهر أحمد سيفي لقد دخلت الأحمدية عائلةَ والدي في الأيام الأولى للخلافة الثانية عندما انضم جدّه السيد نصرة إلى الجماعة الأحمدية. كان المرحوم يداوم على الصيام والصلاة وقيام الليل، وكان طيب المزاج، هادئ الطبع، اجتماعيا، مليئا بروح خدمة الخلق، يقابل بوجه بشوش، وكان إنسانا مخلصا. كان يكن للخلافة حبا لا نهاية له. كان يكتب رسالة لخليفة الوقت قبل كل عمل ليطلب منه الدعاء. كان يشارك بصمت في الشؤون الجماعية والدينية، وبحسب إمكانياته كان يشارك أيضاً في التضحية بالمال قدر المستطاع. عندما بدأت إم تي أي لم يكن في مترلنا تلفزيون، فبمجرد بداية إم تي أي أحضر فوراً تلفزيوناً إلى المترل ليسمع صوت خليفة الوقت مباشرة. لا أتذكر نداء لخليفة الوقت لم يلبِّه والدي بحماس.

كانت معاملته مع غير الأحمديين أيضاً مليئة بالشفقة، فقد دبر العمل للكثيرين من غير الأحمديين في المصنع الذي كان يعمل فيه، لكن كما هو ملاحظ فإن بعض غير الأحمديين لا يملكون قدرا كافيا من الخصال الطيبة، فبعض هؤلاء الموظفين الذين أحسن إليهم المرحوم قد رفعوا الشكوى ضده إلى صاحب

المصنع متأثرين بكلام الناس وطلبوا منه بإصرار أن يسرِّحه من العمل، ففعل ذلك، لكن المرحوم لم يُثر أي ضجة أو شغب، وإنما شكا بثَّه وحزنَه إلى الله، فدعاه مالك المصنع بعد مدة قصيرة، وأعاده إلى منصبه السابق، فظل يحسن حتى بعد ذلك إلى من أساؤوا إليه، ولقد بايع ثمانية من سكان فيصل آباد تأثرا بحسن سلوكه أكثر من الدعوة. رحمه الله وغفر له ووفق أولاده أيضا لمواصلة حسناته.

***